

أسرار البيان في القرآن Secret Statement in Quran

عبود حميودة

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، abboud.hamiouda@yahoo.com

هاجر بوعكاز

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، bouakkazhadjer1591@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/03/29

تاريخ القبول: 2024/03/11

تاريخ الاستلام: 2022/12/25

ملخص:

هكذا هي حكمة الله تعالى، اختار من الزمان للقرب أكثر من عباده الثلث الأخير من الليل، واختار من الأمكنة للحج مكة " البيت الحرام"، واختار من أنبيائه ليكون خاتم محمدا عليه السلام، واختار من اللغات العربية لتكون الحاملة لكتابه " القرآن الكريم". وقد اتفق أهل التحقيق من علماء القرآن، أن أظهر وجوه الإعجاز القرآني بلاغته ونظمه.. كما نبّه العلماء إلى أهمية الدراسة البلاغية للقرآن الكريم. جاء في "أصول التفسير وقواعده": لعلمي المعاني والبيان مزيد اختصاص بعلم التفسير، لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية وإظهار وجه الإعجاز.

والبيان عند علماء البلاغة : علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه- أي على المعنى- يضم مباحث عديدة من أهمها: التشبيه، الاستعارة، الكناية. في هذا المقال دراسة بيانية تطبيقية* التشبيه-الاستعارة- الكناية* في جملة من الآيات القرآنية مع التركيز على استخراج أهم المعاني والأسرار التربوية.

كلمات مفتاحية: البيان، القرآن، التشبيه، الاستعارة.

Abstract:

his is the wisdom of God Almighty, He chose from time to be closer to His servants the last third of the night, and from the places of pilgrimage to Mecca, the Sacred House, and He chose from his prophets to be the seal of Muhammad, peace be upon him, and he chose from Arabic languages to be the carrier of his book, the Noble Qur'an. The scholars of the Qur'an have agreed that the Qur'anic miracles are manifested in its eloquence and organization. The scholars also drew attention to the importance of the rhetorical study of the Holy Qur'an.

*It came in "The Origins of Interpretation and its Rules": The scholars of meanings and the statement have more specialization in the science of interpretation, because they are a means to show the characteristics of Qur'anic rhetoric and to show the miraculous face. And the statement according to the rhetoricians: a science by which the single meaning is known in different ways in the clarity of its indication - that is, the meaning - that includes many topics, the most important of which are: simile, metaphor, metonymy. In this article, an applied graphic study * simile - metaphor - metonymy * in a number of Quranic verses with a focus on extracting the most important meanings and educational secrets|.*

Keywords: the statement; the Qur'an; simile - metaphor; metonymy.

عبود حميدة: abboud.hamiouda@yahoo.com

1. مقدمة:

هكذا هي حكمة لله تعالى، اختار من الزمان للقرب أكثر من عباده الثلث الأخير من الليل، واختار من الأمكنة للحج مكة البيت الحرام"، واختار من أنبيائه ليكون الخاتم محمدا عليه السلام، واختار من اللغات العربية لتكون الحاملة لكتابه "القرآن الكريم". وقد اتفق أهل التحقيق من علماء القرآن، أن أظهر وجوه الإعجاز القرآن ببلاغته ونظمه. قال تعالى ﴿آلَمْ. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾¹ ذلك: اسم إشارة للبعيد، والقصد مكانة القرآن الرفيعة، التي لا يبلغ مبلغها كتاب آخر، في المباني والمعاني، في البلاغة والأحكام، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الدراسة البلاغية- والتي منها البيانية- للقرآن مهمة من جوانب شتى منها: الكشف عن هذا الوجه في الإعجاز – (الإعجاز البلاغي)، ثم البحث في ما تضمنته هذه البلاغة من معان فيها حل وللمشكلات واقعة (حادثة).

ولقد نبه العلماء إلى أهمية الدراسة البلاغية للقرآن الكريم، يقول الأستاذ أبو زيد: لذلك تصبح مهمة المفسر هي النفاذ إلى عالم النص وحل مستويات المعنى الكامن فيه، الظاهر والباطن، الحرفي والمجازي، المباشر وغير المباشر²، وجاء في "أصول التفسير وقواعده" ولعلمي المعاني والبيان مزيد اختصاص بعلم التفسير، لأنهما وسيلة لإظهار

خصائص البلاغة القرآنية وإظهار وجه الإعجاز³، ومما روي عن الإمام مالك أنه قال: لا أوتي إلى برجل غير عالم بلغة العرب يتكلم في كتاب الله إلا جعلته نكالا⁴ ويؤكد أبو هلال العسكري هذا المعنى فيقول: علم العربية علم اتسمع من خاص ما يحتاج إليه الإنسان لجمال في ديننا هو كمال آله في علوم دينه⁵، وإذا كان من أهم وجوه الإعجاز القرآني يرجع إلى (أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي عجز الخلق عنه)⁶. وإذا كان جمع من أهل العلم، قد بحثوا في وجوه الإعجاز القرآني كلها، وعلى رأسه الإعجاز البلاغي، فإنه لا يزال معطاء من درسه وتدبر فيه تراءت له من المعاني، ما لم تخطر من قبل على عقل.

والبيان عند علماء البلاغة هو (علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، أي على المعنى، هو يضم مباحث عديدة من أهمها: التشبيه، الاستعارة، الكناية).

وقبل تقديم جملة من الآيات التي حوت أحد مباحث البيان للتطبيق والتدليل على ما ذكرنا، لابد من إعطاء لمحة عن أهداف وبلاغة كلا من: التشبيه والاستعارة والكناية، بصفة عامة، دون الخوض في تفاصيل أقسامها، وتعريف أنواعها، فذلك مبسوط في كتب البلاغة. ومقال لا يسع ذلك.

2 بلاغة البيان في القرآن:

1.2. بلاغة التشبيه في القرآن وأهدافه:

إن الغاية من استعمال الصورة البيانية، من تشبيه، استعارة وكناية، لا تقتصر على الجانب الشكلي، وإنما التأثير في النفس، لتفعل خيرا أو تترك شرا، وتقبل على حق أو تعرض عن باطل، وجمالية الصورة (تكمن في دقة التصوير وروعته في إثارة الحواس المختلفة، والعواطف المتباينة، مما يثبت الصورة في الإدراك والوجدان، وهذا الأمر هو الذي وجه أنظار العلماء، فتنهوا إلى الصورة القرآنية في قوتها وروعته، وبذلوا الجهود المشكورة في سبيل إبرازها، والوقوف على أسرار إعجازها، وذلك لما رأوه في الصورة البيانية القرآنية من آثار نفسية رائعة⁷ من خلال ما تحدثه من استغراب وتوقف عندها.

ومن صور البيان التي لقيت اهتماما كبيرا التشبيه يقول (الأستاذ) د. صلاح الدين عبدالنواب: وقد أدرك الأدباء منذ القديم عظم التشبيه، ومنزلته في التصوير البياني، فهو عندهم من الصور التي تراود الخيال، وبه تحسن الصورة المراد التعبير عنها⁸. والتشبيه أكثر كلام العرب.

وإذا كان التشبيه أنواعا، فانقسم التمثيل أدق بلاغة وأعظم تأثيرا. جاء في " الإيضاح في علوم البلاغة": فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به- لاسيما قسم التمثيل منه- يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك⁹. وجاء في " الصورة الأدبية في القرآن": وإذا كان للتشبيه المفرد روعة هو جماله، وبساطة هو وضوحه، فإن التمثيل أحفل منه منظرا، وأوسع مدى من التشبيه المفرد، كما أن له روعه في البيان، وقوته في الإيضاح، وجماله في التصوير¹⁰.

وكما هو شأن القرآن، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، كل حرف في مكانه، وكل لفظة في موقعها، فإن صورة التشبيه وغيرها تستعمل بدقة، من استعمال أمثل للألفاظ والفاصلة إلى استغلال لعناصر الوجود التي يحياها الإنسان ويتأثر بها.

إن التشبيهات (في القرآن لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء، بل تتجاوزها إلى المماثلة النفسية وتعمقها حتى أضفت عليها حياة شاخصة وحركة متجددة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة، وتجسمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد، وليس هذا فحسب، بل يبرز جمال التشبيه القرآني ما فيه من إبداع في العرض، وجمال في التنسيق وروعة في النظم والتأليف وجرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها¹¹. فمن من روعة وبلاغة التشبيه في القرآن أنه دقيق في الاختيار المناسب لكل جزئية من جزئيات التشبيه، بالإضافة إلى أن صور هذا التشبيه الرائع منتزعة من الحقائق المسيرة لنظام الكون، والموافقة لطبائع الناس، كما أنها كلها صور شملت مظاهر هذا الكون بأسره، بما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد¹². ومما يتميز به التشبيه الإيجاز ومع ذلك فهو يحتوي على مع أن غزيرة لذلك فالبلغ (يؤثر أسلوب التشبيه لما

يحتويه من فوائد تعود على الأسلوب من وضوح الفكرة والمبالغة فيها والإيجاز للوصول إلى الغرض¹³.

وخلاصة القول أن للتشبيه في القرآن غايات وأهداف تتعلق بالتربية الفكرية والنفسية والسلوكية.

2.2. بلاغة الاستعارة في القرآن وأهدافها:

لسنا هنا بصدد تعريف الاستعارة وبيان أنواعها، فذلك مبسوط في كتب البلاغة، وإنما أردنا أن نبرز بعضاً من بلاغة الاستعارة، والغاية من استعمالها خاصة في القرآن الكريم، كتمهيد لأخذ نماذج والبحث في أسرارها وأبعادها.

وإذا كان القرآن حافلاً بصور التشبيه، فإنه كذلك استعمل صور الاستعارة، ذلك أن (للاستعارة تركيب يحمل على تخيل صور جديدة وروعتها في ما تضمنته من تشبيه خفي مستو، وإذا كنا قد رأينا في التشبيه كيف تتحقق صفة من الصفات في شيء ما بصورة قوية فإننا نرى في الاستعارة خطوة أبعد في التخيّل، الذي يعبر عن تأثيرنا بمظاهر الحياة والأحياء تعبيراً حافلاً بمختلف المشاعر والأحاسيس، وما ذاك إلا لأنها من ذلك النوع الموحى الذي يجعل القارئ أو السامع يحسب المعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصور المناظر للعين، وتنقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموساً محسناً¹⁴. يقول د. صلاح الدين عبدالنواب: فالاستعارة قد تجسم الأشياء المعنوية وتعرضها في صورة مرئية ملموسة، فيكون لها الأثر البليغ، والوقع اللطيف¹⁵. وإذا كانت الاستعارة تعتمد أساساً على اللفظ، فبلاغتها (إنما تكون بما فيها من إحياءات وإثارات فنية يحملها اللفظ وما ينطوي تحته من انفعالات ويصور من أحاسيس¹⁶. وإذا كان للاستعارة تأثير في العواطف والنفوس فلأن هذا التأثير يعتمد (كالرسم والتصوير على الخيال وعرض الصور والصفات والأعمال عرضاً حسيّاً مجسماً، يرى القارئ في ألفاظها من الألوان والمعاني ما يراه إذا هو نظر إلى رسم أو تبصر في تمثال¹⁷.

إنَّ من الغايات الكبرى لاستعمال صور البيان، بما فيها الاستعارة، إنما هو الوصول إلى عمق النفس للتأثير فيها إيجاباً، يقول مصطفى ناصف: والاستعمال الاستعاري كان دائماً - المظهر

الأساسي لإشاعة الحب وقدر من للوحدة بين ألوان النشاط البشري¹⁸ ويرى عبد القاهر الجرجاني أن فضيلة الاستعارة ترجع إلى أنها (تبرز هذا البيان أبداً في صورة متجددة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلاً¹⁹

ونستنتج مما سبق ذكره أن غاية الاستعارة التأثير والتوجيه.

3.2. بلاغة الكناية في القرآن وأهدافها:

نزل القرآن بلسان عربي مبين نزل على نمط يعجز قليله وكثيره معا فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرج من طبيعته²⁰. ومن هذا الإعجاز اللغوي والبلاغي، استعماله للكناية، وغايته تهذيب الأخلاق وتركيب النفس وتصحيح الاعتقاد، ذلك (أن الكناية ليست حقيقتها في ذلك الشكل المادي التعبيري فحسب، بل تتجاوزها إلى ما وراءها من حقيقة نفسية، فمجيء الكناية- إذا- هو بمثابة البرهان المادي لتلك الحقيقة النفسية، والقرآن الكريم وقد حشدت آياته بالصور الأدبية الرائعة لم يخل من هذه الصور الكنائية، بل وكما عرفناه أبداً: النموذج الأعلى، والمثال الفرد لكل بيان²¹. فالقرآن هو هرم البلاغة والبيان.

وإذا كان الله قد اشترط في كتابه للطهارة الماء المطلق الذي لم يتغير لونه ولا طعمه ولا ريحه، فإنه وهو يستخدم الأسلوب الكنائي يختار من الألفاظ والعبارات أجملها وأروعها فلا غرابة ولا كراهة ولا ثقل، فالنفس تستروح، والأذن تستأنس، ولذلك فالكناية القرآنية تقوم (بنصيحها كاملاً في أداء المعاني وتصويرها خير أداء وأدق تصوير، وهي حين دراسة مصورة موصية، وحيناً مؤدبة مهذبة، تتجنب ما تنفر الأذن من سماعه، وحيناً موجزة تنقل المعنى وافياً في لفظ قليل وهي - في ذلك- لا تخلو من الإيحاء والتصوير)²². وقد (أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح)²³.

والخلاصة أن للكناية غايات تهذيبية تربوية للفكر والنفس والسلوك.

3 من أسرار البيان في القرآن "تطبيقات".

3.1. من أسرار التشبيه في القرآن:

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾²⁴.

في الآية الكريمة تشبيه تمثيلي، حيث وجه الشبه منتزع من صور متعددة، فهذا الإنسان المؤمن، حيث أخلص بقلبه لله تعالى، بعد أن جمع المال، أخذه ثم أنفقه في وجوه البر والخير، في زمن ما وفي مكان ما، مثله كمثّل من حرث الأرض في زمن الحرث، بعد أن هياها، ثم اختار البذور الصالحة، ثم بذرها في الأرض، وتعهدها ورعاها حتى أنبتت وأثمرت له أضعافا مضاعفة. يقول ابن القيم: شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيل الله- سواء كان المراد بها الجهاد أو جميع سبل الخير من كل بر- بمن بذر بذرة- فأنبتت سبع سنابل اشتملت كل سنبل على مائة حبة، والله يضاعف الأجر بحسب حال المنفق وإيمانه، وإخلاصه وإحسانه وقدر نفقته ونفعها ووقوعها في مكان موقعها²⁵.

إن الله تعالى وهو الخالق، وعليه فالأمر له والحكم إليه، يأمر في طاعة ونتردد، عرفت الحكمة أملا. أدركت النتائج أملا، فأن تعبدوه هو الله، لكنه سبحانه وهو الخلاق العليم بطبائع عبادته، يأمر ولكن يستعمل أسلوب الترغيب، إنه يريدنا أن ننفق مالنا بعدما تعبنا في جنيته وتحصيله، ويعدنا بأنه سيعطينا أضعاف ما ننفق.

يقول سيد قطب: إن الدستور لا يبدأ بالفرض والتكليف، إنما يبدأ بالحض والتأليف، إنه يستجيش المشاعر والانفعالات الحية في الكيان الإنساني كله، إنه يعرض صورة من صور الحياة النابضة النامية المعطية الواهبة: صورة الزرع هبة الأرض أو هبة الله، الزرع الذي يعطي أضعاف ما يأخذه، ويهب غلاته مضاعفة بالقياس إلى بذوره، يعرض هذه الصورة الموحية مثلا للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله²⁶. هكذا إذ نشأن الله تعالى، وهكذا إذ نتعامل مع عبادته المؤمنين المخلصين، يحثهم ويشجعهم ويرغبهم، إنه

يعددهم أنه سيعطيهم أضعاف ما أخذ منهم، نعم في الدنيا وفي الآخرة لأنه واسع عليم". واسع العطاء جواد كريم، يعطي اليوم كما يعطي غدا. جاء في <<الظلال>>: وفي موكب الحياة النامية الواهبة يتجه بالضمير البشري إلى البذل والعطاء والنماء في طريقها، تضاعف المشاعر التي استجاشها مشهد الزرع والحصيلة، إن الله يضاعف لمن يشاء، يضاعف بلا عدة ولا حساب، يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد حدوده، ومن رحمته التي لا يعرف أحد مداها²⁷. ومع هذه العبارة الموجزة، آية واحدة، بما حوت من تشبيه تمثيلي، يمكن أن نستخلص بعض الأسرار ذات العلاقة بالفكر والنفس والسلوك:

. أن يتعلم المسلم إذا كان في مركز الأمر الموجه كالحاكم أو الأب، أن يستعمل أسلوب الترغيب والتشجيع أفضل من استعمال الأوامر المباشرة. فهذا أدعى للاستجابة والتطبيق. - إن فلاحه الأرض وزراعتها ثم رجاء الحصاد الوفير الجيد، يتطلب الاختيار المناسب لذلك زمان أو مكان أو بذرا مع الرعاية حتى النهاية، فكذلك المال الذي ينفق يرجى منه الثواب العظيم، إذا كان من حلال، وكان عن إخلاص، وفي موضعه.

- ومن الإشارات البعيدة المستفادة بضرب هذا المثل للمؤمن المنفق، أنها لله يبارك للمسلمين أرضهم وزرعهم، بحيث يكثروا لهم من خيرات الأرض، إذا كان الأغنياء منفقون لأموالهم في سبيل الله تعالى، وبالعكس فمتى انتشر البخل والشجع اقبال له الأمة بقللة الزرع وضعف الإنتاج وربما فساد.

- دور الإخلاص في النفقة خاصة للفقراء والمساكين فلا رياء ولا من ولا أذى، والإخلاص مكانه القلب، وليس اللسان، كحبة القمح تنبت وتضاعف إذا جعلت في عمق الأرض لا على قشرتها.

3.2. من أسرار الاستعارة في القرآن:

أ. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾²⁸.

في هذه الآية الكريمة "والصبح إذا تنفس"، منجما للاستعارة البديعة ما يأخذ بالألباب، فقد (شبه النور ينبج به الصبح، بنسمات الهواء العليل، تحي القلب والنفس، وتشبه الفجر بنائم، يغط بسبات عميق، والفجر حيث نفس أنفاسه: (النور، والحركة، والضياء) كأنه كان نائما ثم استيقظ، فاستنشق الهواء المنعش للنفس، واستعاد نشاطه

وحيويته)²⁹. ولمزيد من الإيضاح والبيان التعمق في معنى "عسعس" جاء في الكشف: إذا عسعس: إذا أقبل ظلامه.

إن الصبح في الحقيقة لا يتنفس وإنما يطلع نوره، وإنما يتنفس الكائن الحي، كالإنسان، ففي الآية استعارة مكنية.

يقسم الله تعالى بالليل إذا عسعس، وبالصبح إذا تنفس، ليؤكد على أن القرآن قد نزل به جبريل عليه السلام وهو الأمين الذي لا يخالف أوامر ربه.. وتمضي في الحقيقة الآيات في جواب القسم إلى قوله تعالى: "فأين تذهبون إنه و إلا ذكر للعالمين" أي: أين تذهبون بتفكيركم في شأن القرآن وفي شأن الرسول محمد عليه السلام، من كونه ساحر إلى مجنون إلى شاعر. كل ذلك باطل وخاطئ، بل هو ذكر من الله للعالمين.

وإذا تأملنا قوله تعالى: "عسعس" وجدناه فعل ماض رباعي مضعف "عسعس" وفي ذلك إشارة إلى أن الظلام يبدأ قليلاً ثم ينتشر ويشتد، وأقوى ما تكون شدته في الثلث الأخير من الليل قبل الفجر، ولكن بعد هذا الظلام المضاعف المشتد يأتي النور ويتلاشى الظلام في لحظات.

إن استعمال القرآن للاستعارة في مجيء الصبح وظهور النور "تنفس" توحى وكأن الظلام حين جاء به الليل، وجد النور فغطاه ولفه فخنقه، وشيئاً فشيئاً يزداد اللف ويشتد الخناق، حتى كأن النور لا يتنفس، فلا هواء يدخل، إنه يشعر بالضيق والحر وال ألم، ولكن مع ذلك النور يقاوم ويصارع ليطرد الظلام، وبعد زمن طويل، وصراع كبير ينتصر النور، ويتنفس الصبح، حامداً الله أنه أزاح عنه ما كان يسبب له الضيق والحر.

هذه الاستعارة الموجزة "والصبح إذا تنفس" تحمل أسراراً منها:

. أن الجاهلية (الكفر) قد انتشرت في ربوع الكون حين نزول القرآن، ويكفي وجود (314 صنماً) حول الكعبة تعبد دون الله، وأن الإسلام حين جاء بنوره "التوحيد"، سيلقى صراعاً وعناداً من الكفار، فلا بد من الصبر والثبات، وأن الإسلام بعد طول صراع سينتصر، وهذا ما وقع.

. أن الخير والشر، والحق والباطل، أبدا في صراع، وكما أن الليل وإن طال يزول، وأن النور لابد أن يعود، هكذا الخير هو الغالب والحق هو المتمكن، وهذا حتى على المستوى الشخصي (صراع النفس). وعلى مستوى صراع الحضارات، فإن كان للخير فاعلون، وللحق ناصرون، فالعاقبة لهم كما كانت للصبح.

. أن يتعلم المسلم الصبر عند وجود الأذى والمصائب والشدائد، فبعد زمن تزول، والفرج قادم كالنور مع الظلام.

قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³⁰.

في هذه الآية الكريمة استعارة تمثيلية حيث (شبه الله تعالى إرسال النعم عليهم، بفتح خزائن الأموال والخيرات الكثيرة، من رزق، وصحة، وأمن، وحكمة، وعلم، وهو تمثيل بديع للخيرات التي يغدقها الله على عباده، فالفتح والإمساك كناية عن المنح والعطاء)³¹ ومن أسرار هذه الاستعارة:

- النعم والخيرات التي هي بيد الإنسان، مصدرها الله تعالى، وإن بذل الإنسان جهدا فيكسبها، وعليه فالخالق يستحق الحمد والشكر.
- مادامت النعم مصدرها الله، فحين تشاء إرادته إمساكها أو إفساد مصلحتها فعل، وعندها فلا يندم إلا الجاحد.
- الأصل أن يتعلق قلب الإنسان بالخالق مادام العطاء منه، مع تقديم الأسباب فحسب دون طغيان. "ومن يتوكل على الله فهو حسبه.
- استشعار الخوف من الله وتعظيمه، لأنه قادر على إمساك ومنع كل نعمه وكل خير على من يشاء في اللحظة التي يشاء وبالكيفية التي يشاء.
- (فكل نعمة كأنها مربوطة بحبل وأوله عند الله إن شاء أرسل وإن شاء أمسك).

3.3. من أسرار الكناية القرآنية:

أ. قال الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾. النور³¹

في هذه الآية أمر من الله تعالى للمرأة المسلمة البالغة، أن تضع خمارها على صدرها ابتداء من شعرها كما ذكر العلماء، حتى لا تظهر زينتها أمام غير محارمها، لمصالح

تعود عليها وعلى المجتمع كله. لكن المثير في الآية هو استعمال لفظة "الضرب" بدلا لوضعت ما معنى ذلك؟ الضرب (تمكين الوضع والمعنى: ليشددن وضع الخمر على الجيوب، بحيث لا يظهر شيء من بشرة الجلد، والباء لتأكيد اللصوق مبالغة في إحكام وضع الخمار على الجيب)³².

فالتعبير بـ: " وليضربن بخمرهن" بدل يضعن خمرهن، كناية عن إحكام وضع الخمار على الصدر، بحيث لا يظهر شيء من الشعر والنحوكل الصدر وقد (كانت المرأة تضع خمارها على رأسها مسبلا على كتفها فأمرت أن تضرب به على فتحات درعها حتى تستر العنق والصدر سترًا كاملاً)³³ ولهذه الكناية أسرار منها:

- أن تنتبه المرأة المسلمة إلى لباسها الشرعي أمام غير محارمها فهو واجب، ومنه الخمار، أن تحسن وضعه، فليس المطلوب وضع الخمار فحسب بل أن تضعه بكيفية خاصة صحيحة. مثلا لصلاة بها عدد ركعات ولها كيفية، فمن زاد في السجود مثلا بطلت صلاته ومن أنقص من الركعات بطلت.

- أن يتعلم المسلم أنه ليس المهم هو أداء الواجب فحسب، بل المهم هو الكيفية التي يطبق بها الواجب.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾³⁴

(مريم 97)

هكذا "يسرناه بلسانك" ذكر اللسان وهو يقصد اللغة، ولغة النبي صلى الله عليه وسلم هي العربية وهي لغة قومه، لغة القرآن الكريم. فاللسان هنا كناية عن اللغة. أي (إنما أنزلنا عليك هذا القرآن بلغة قومك " اللغة العربية" لتبشر به أهلا لتقووا بالإيمان وتخوف به أهل الكفرو العصيان ففي الآية كناية لطيفة)³⁵ من أسرار الكناية هنا:

- الحكمة في تفضيل العربية لتكون الحاملة لكتاب الله تعالى لعباده، أنها وبعلم الله الأفضل في تقديم المعاني المرادة إلى العباد.
- أنه على الإمام والمصلح أن يتبع أسلوب التيسير لا التعسير في تعليم الناس وتوجيههم.
- على المصلح في كل زمان أن يتعلم العربية " لغة القرآن " لمفهم القرآن، ويسهل عليه التعريف بالقرآن.
- على المصلح أن ينتهج نهج التبشير والترغيب فهو أدعى لاستمالة القلوب وتربية النفوس والتأثير على العقول.
- على المصلح أن ينتهج نهج الإنذار والتخويف للعصاة دون سيول الشتم ولكن الإنذار بذكر العواقب.

4. خاتمة:

وبعد هذه الدراسة المتأنية التي جمعنا فيها البلاغة بكتاب الله، استخلصنا مجموعة من النتائج المهمة، نذكر منها:

- البلاغة العربية شق أساس، وركيزة أولية وضرورية في فهم الإعجاز القرآني.
- التشبيه والاستعارة والكناية أهم فصول البلاغة العربية التي تشكل الخطاب والنسق القرآني.
- من علم البيان التشبيه والاستعارة والكناية. تأتي أسرار باطنية عميقة في الخطاب الإلهي، تمتد الفرد المسلم بحقيقة وجوده، وكيونته التي خلق من أجلها، فتخاطبه هذه الأنساق البلاغية وتستير عقله وروحه ونفسه للعمل وللفهم وللحياة المثلى.
- يخاطب الله الإنسان بلغة واضحة بسيطة، ويدعوه ليستزيد بنفسه الأسرار اللغوية، من خلال التدبر والتمعن والتعمق في جوهر الصورة البلاغية.
- لذلك نقترح على كل فرد مسلم أن يدرك أن الرجوع للقرآن الكريم مهم، بل ضروري لفهم أسرار الحياة الطيبة، ونحن لاحظنا كيف دلت باطن الآيات على حقائق لا تتأتى إلا بالتدبر الكبير والتأني العميق، وما دام القرآن صالحا لكل زمان ومكان، فربما كل مجتهد يأتي بحقيقة لم يسبقه إليها الأولون

في خاتمة البحث تلخيصا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل إليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.

5. قائمة الإحالات:

- ¹. سورة البقرة، الآية 2، 1.
- ² نصر حامد أبوزيد: إشكاليات القراءة والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 07، 2005م، ص 46.
- ³ الشيخ عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده دار النفائس، بيروت، لبنان، 1424 هـ/ 2003م، ص 43.
- ⁴ محمد الصالح الصديق: البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1964، ص 158.
- ⁵ السيد أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 1426 هـ/ 2005م، ص 11.
- ⁶ القاضي أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2008م/ 1429 هـ، ص 30.
- ⁷ صلاح عبدالنواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1995م، ص 43.
- ⁸ المرجع نفسه: ص 44.
- ⁹ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: دار الكتاب اللبناني، ط 5، 1400 هـ، 1980م، ص 328.
- ¹⁰ صلاح الدين عبد النواب: الصورة الأدبية في القرآن ص 53
- ¹¹ المرجع نفسه: ص 45
- ¹² المرجع نفسه: ص 51
- ¹³ عبد الفتاح لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن دار المعارف. القاهرة، ط 2: 1985، ص 107.
- ¹⁴ الصورة الأدبية في القرآن: ص 59.
- ¹⁵ المرجع نفسه: ص 193.
- ¹⁶ المرجع نفسه: ص 199.
- ¹⁷ المرجع نفسه: ص 192.
- ¹⁸ مصطفى ناصف: الصورة الأدبية: دار الأندلس. بيروت لبنان. ط 3، 1983. ص 06.
- ¹⁹ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، دار الكتاب العربي بيروت. 1426 هـ/ 2005م، ص 31.
- ²⁰ مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية. بيروت 1426 هـ/ 2005م، ص 64.
- ²¹ الصورة الأدبية في القرآن: ص 69.
- ²² المرجع نفسه: ص 69.
- ²³ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار الجيل بيروت. ط 1، 1424/ 2004 هـ ص 89.
- ²⁴ البقرة، 261.
- ²⁵ الإبداع البياني في القرآن العظيم: محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، بيروت. 2007م/ 1428 هـ، ص 47.
- ²⁶ سيد قطب: في ظلال القرآن: دار العلم جدة السعودية. ط 12، 1406 هـ/ 1986م، ص 300.

- ²⁷. المرجع نفسه: ص 300
- ²⁸. سورة الإنشقاق، الآية 16.
- ²⁹. محمد علي الصابوني: الإبداع البياني في القرآن العظيم، ص 396.
- ³⁰. سورة فاطر، الآية: 02.
- ³¹. محمد علي الصابوني: الإبداع البياني في القرآن العظيم: ص 396.
- ³². سورة النور، الآية 31
- ³³. الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 18، ص 239.
- ³⁴. سورة مريم، الآية: 97.
- ³⁵. محمد علي الصابوني: الإبداع البياني في القرآن العظيم، ص 197.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم براوية ورش عن نافع.
- 1. أحمد الصالح الصديق: البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1964.
- 2. أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام علي القدير، دار السلام للطباعة والنشر السعودية، ط 4: 1412 هـ / 1992 م، م 3،
- 3. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتاب اللبناني، ط 5، 1400 هـ، 1980 م.
- 4. عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003 م.
- 5. السيد أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 1426 هـ 2005 م.
- 6. سيد قطب: في ظلال القرآن، دار العلم جدة السعودية. ط 12، 1406 هـ / 1986 م.
- 7. صلاح عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم، مكتبة لبنان ناشرون. ط 1، 1995 م.
- 8. الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، ج 18.
- 9. عبد الفتاح لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف. القاهرة، ط 2: 1985،
- 10. القاضي أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ط 2، 2008 م / 1429 هـ.
- 11. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، دار الكتاب العربي بيروت. 1426 هـ / 2005 م.
- 12. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار الجيل بيروت. ط 1، 1424 / 2004 هـ
- 13. محمد علي الصابوني: الإبداع البياني في القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت. 2007 م / 1428 هـ.
- 14. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية. بيروت 1426 هـ / 2005 م.
- 15. نصر حامد أبوزيد: إشكاليات القراءة والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.